16

خطاب ولي العهد الأمير
مولاي الحسن بن أمير المؤمنين
سيدي محمد نصره الله
في افتتاح مدرسة مراكش الحبسية

الحمد لله   والصلاة والسلام على رسول الله

سيدي الاعز الاكرم - ايها السادة الاجلاء

اذا كان العلم أفضل ما يسعى اليه البشر ، فان تاسيس معاهده أشرف ما يتخذه اليه من الوسائل ، ثم ان لكل زمن حيلة يمتاز بها بين العهود ، كما ان لكل عمل ما يناسبه من الجهود ، مضت قرون المدنية الاسلامية اختص كل عصر فيها بحلة تناسب حضارته ، وديباجة تعنون سيرته ، فليس عصر النبوة كعهد الخلافة ، ولا مدنية العصر العباسي كالحضارة الاندلسية ، اختصت كل واحدة بما يلائم الظروف والحيثيات ، ويشا كل الاسباب والمناسبات ، على ان كلا لاح في مراحل التاريخ البشري شمسا مشرقة، وحجة بالبراهين الساطعة ناطقة ، تعلمون ما بذله سلفنا الطاهر في سبيل نشر العلم بين الامم ، وكيف ارتقى العمران في العهود الاسلامية وتقدم ،



ان ابتهجت بغداد بتدفق جداول المعارف ، فقد نشر للعرفان في الديار الأندلسية والمدن المغربية الظل الوارف ، ففي كل فن كانت تتزاحم الافكار على مداركها ، وتتناوب العقول على نتائج معاركها ، يزهو كل قطر بمعلومات فحوله ، ويزدهر كل ربع بالعرفان بعد تحوله ، ياتي مثل ابي علي القالي من بغداد لينشر أنوار الادب بالديار الاندلسية ، ويشرق ابن خلدون من المغرب ليبث معلوماته العجيبة بالعاصمة المصرية ، يمهد الفارابي مقدمات المعقول والفلسفة اليونانية ، ويتناول ابن رشد معلوماته لينشرها بالعاصمة المراكشية، يتوجه ابن العربي المعافري الى الديار الشرقية، فيقطف من رياض معارفها الدينية زهورا يعطر بها مرابع الاندلس حيث يمتزج المنقول بالمعقول وينشأ عن عصارتها ما تنتعش به الافكار النضجة ، وتحيا به الارواح المبتهجة ، ثم ادرك تلك الجهود طبيعي الفتور ، حتى اظلم من سحائب الجهل ذلك المعمور ، فتناوبت علينا المحن ، وحمل علينا الدهر بالاحن ، حتى ينشد الشاعر العربي :

لم يبق شيء من الدنيا بايدينا — الا بقية دمع في مآقينا
كانت منازلنا في العز شامخة — لا تشرق الشمس الا في مغانينا
كنا قلادة جيد الدهر فانفرطت — وفي يمين العلا كنا رياحينا



وكان اقصى مني نهر المجرة لو | من مائه مزجت اقداح ساقينا
والشهب لو انها كانت مسخرة | لرجم من كان يبدو من اعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا | شزرا وتخدعنا الدنيا وتلهينا

نقف على هذا البيت من تشكي الشاعر ودعوني ان ازيد :

حتى اغثنا بسلطان له همم | تعلو السماكين بالعرفان يحيينا

ثم تناوبت المسلم القارعات ، فالقته في مهاوي المهلكات ، ونبذته الى فيافي الردى ، يسير في ذي الحيرة سدى ، يتمتع الكل وهو محروم ، ناشطا غيره للحياة وهو محموم ، اعتورتنا الخطوب والاياس ، وقد كنا خير امة اخرجت للناس ، بارحنا الاجتهاد فبارحتنا المعالي ، وغفلنا عن مشارع دين الله ، فاعتزلنا الرتب العوالي ، هجرنا مهيع الرشاد ، ولزمنا الخمول والاتكال ، فتاخرنا عن العباد ، باقتفاء مسالك الاهمال ، لا بمعالم الدين نهتدي ، ولا باعلام سلفنا الصالح نقتدي ، وكذلك كنا مسرعين الى الافول ، راضين من الغنيمة بالقفول ، لو لم تتداركنا العناية الربانية ، بمن نبهنا الى التمسك بالوسائل القرآنية ، تجلت لنا لطائف الرحمان ، في عواطف جلالة السلطان ، تنبه نصره الله الى ان الجهل داؤنا العضال ، فشمر



عن ساعد الجد لتدارك الاحوال ، مسرعا الى احياء الرسوم الدوارس ، بانشاء الكتاتيب والمدارس ، عالما ان فيها للامة نجعة الرائد ، وللدين تدعيم الاركان والمقاصد ، فأنشئت المدرسة الحسنية بفاس ، وشفعتها العبدلاوية بالدار البيضاء ، ثم تبعتهما ثالثة بتلك العاصمة التجارية ، وشرع في تشييد مدرسة اخرى بالرباط تفتح عما قريب بحول الله . ولما قرر الجناب الشريف ايده الله سفره الميمون الى الجنوب جعل فاتحة حركاته افتتاح مدرسة سطات ، ثم اشرقت السعادة بعاصمة مراكش حيث ءان لها ان تاخذ حظها من المشاركة في هيكل حياة الامة ، فجاء سيدنا المنصور بالله يشرف بموكبه المنيف حفلة افتتاح هذه المدرسة التي انشأتها وزارة الاحباس ، وافتتاح المدرستين اللتين تبرع بانشائهما الشريف الاكرم مولاي الحاج الباعمراني الذي حبس ما يضمن صائر سيرهما في كل لوازم التعليم. فشكرا له على هذا الكرم ، وحبذا اعمال هذه الهمم ، فمثل هذه الاعمال تضمن حياة الامة ومجدها ، وترقي البلاد وينمو في كل حين سعدها ، ولقد قال سيدنا المنصور في ذلك الخطاب الذهبي الذي القاه على المسامع عند افتتاح مدرسة سطات بان جنابه العالي لا يقنع



للبلاد بعشرة امثالها، فانه نصره الله يرجو للامة ان تستغني بكل الوسائل لتنفق جل مالها في النهوض برعاياه المخلصين، فليس لهم غير العلم سبيلا للمجد الاثيل، والرقي الموطد الاصيل، اذ كل غنى لا علم فيه فهو عين الفقر وكل مجد يبنى بغير العلم فهو مذبذب الاركان، متضعضع البنيان. يرجو نصره الله كما صرح به غير ما مرة ان يتعلم كل مغربي اصول دينه ومبادي لغته حتى يكون قبل كل شيء مسلما حرا عاملا لدينه ودنياه، ويرجو بعد ذلك ان يكون كل افراد رعيته على بصيرة مما يزاولون: يتقن المدرس طرق التعليم، ويحصل الفلاح كل وسائل الفلاحة وطرقها الحديثة، ويحذق الصانع عمله ويتفنن التاجر في طرق التجارة العصرية باتقان المعلومات الراجعة لكل فرع من فروع الارتزاق، سالكا انفع السبل الى مجاراة الامم المتنفعة بمخترعات عهد الكهرباء، وعصر تسخير الهواء. امل مولانا المؤيد بالله هو ان يكون المغرب روضة علم تتدفق مياهها، مفعمة جداولها، رائقة انهارها، مفتحة ازهارها، مشرقة انوارها. يريد ان يذكر العصر المحمدي الانور، تلك العهود التي طالما ازدهرت بمعالم الايمان، واشرقت بانوار العرفان، تلك العهود



التي زاحمت رجالها الاقمار في هالاتها والنجوم في مطالعها ، يريد ان يكون عهده الزاهر صفحة تاريخ مذهب بأنوار المعارف مشرق بشموس المدنية الحقة التي تزدهي بسعادة امته ، ورفاهية رعيته ، يرفل كل في ذيول العافية والرخاء، متمسكا بعروة التعاون والاخاء، يريد ان تكون صفحة تاريخ عهده في هذه الحياة ذكرا ، وللدار الاخرة ذخرا ، صفحة تتدفق بجليل الاعمال ، وتضمن للجميع بلوغ الآمال ، متدلية بنيل المرام ستورها ، مؤذنة ببهجة الايام سطورها عنوانها الصلاح ، ونتيجتها الفلاح ، لكنها ، اسم محمد طغراء .

٦ ربيع الثاني عام ١٣٦٤ ـ ٢٠ مارس سنة ١٩٤٥